جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

أثر الإسلام
في وصايا الآباء للأبناء
في القرن السادس الهجري
وصية ابن الجوزي نموذجًا

دكتور
أحمد عبد المجيد أحمد غزلان
حاصل على دكتوراه في الأدب والنقد
كلية اللغة العربية إيتاي البارود
جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

أثر الإسلام في وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري وصية ابن الجوزي نموذجاً

د/ أحمد عبدالمجيد أحمد غزلان.

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ، جامعة الأزهر الشريف.

جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: ahmedgozlan90@gmail.com

ـ الملخص :

يمثل النثر جانبًا مهمًا من تراثنا الأدبي والفكري والحضاري؛ لأنه لغة العقل والتفكير، وتعد الوصايا أحد فنون النثر التي نالت شهرة كبيرة بين الفنون النثرية، ومن بين الوصايا تأتي وصايا الآباء للأبناء، فلا شك أن عاطفة الأبوة من أقوى العواطف، وحب الآباء لأبنائهم من أعظم أنواع الحب، وحرصهم على مصلحة أبنائهم من أشد أنواع الحرص، ولا غرابة في ذلك فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلا أنصح من الأب لابنه، ولا أشفق منه عليه، ومن هنا كان لا بد أن يقدم الوالد لولده النصيحة التي يستعين بها في حياته، حتى يشعر أنه أدى بعض ما عليه من حقوق تجاه أولاده، ومن الواضح أنه لا يوجد والد أو والدة على مر العصور لم يقوما بتقديم نصيحة لأولادهما مع الفارق في طريقة تقديم هذه النصيحة، فقد تجد من يقتصر على تقديمها شفهيًا فضلا عمن تيسر لهم الأمر فقاموا بكتابة هذه الوصايا والنصائح وأهدوها إلى أبنائهم لتكون نبراسًا لهم يهتدون بها في مستقبل أيامهم، ويعد القرن السادس الهجري أحد القرون التي كثر فيها هذا اللون الأدبي، ويعتبر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ من أكثر الناس تأليفًا في القرن السادس الهجري، فقد كتب وصية لولده أبي القاسم وسماها (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).

ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الوصية وإلقاء الضوء عليها من الناحية الأدبية.

ـ الكلمات المفتاحية :

(الإسلام ، أثر ، وصايا ، القرن ، السادس ، الآباء).

Summary:

Prose represents an important aspect of our literary, intellectual, and cultural heritage because it is the language of the mind and thought. Wills are one of the most popular forms of prose. Among these wills are those given by parents to their children. There is no doubt that paternal affection is one of the strongest emotions, and the love of parents for their children is one of the greatest forms of love. Their concern for their children's interests is one of the most intense forms of concern. This is not surprising, as it is the innate nature of God upon which people are created. There is no one who gives more advice than a father to his son, nor one who is more

compassionate toward him. Therefore, it is imperative for a parent to offer their child the advice they need in their life so that they feel they have fulfilled some of their duties toward their children. It is clear that there is no father or mother throughout the ages who has not offered advice to their children, with the difference being in the way this advice is delivered. You may find those who limit themselves to offering it verbally, in addition to those who, when possible, write down these wills and advice and dedicate them to their children as a beacon for guidance in their future lives. The sixth century AH was one of the centuries in which this literary genre flourished. Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn al-Jawzi, who died in 597 AH, is considered one of the most prolific writers of the sixth century AH. He wrote a will to his son, Abu al-Qasim, titled "A Glance at the Liver's Advice to the Son."

This research aims to study this will and shed light on it from a literary perspective.

- *Keywords:* (Islam, influence, commandments, sixth century, fathers).

مقدمة

الحمد لله الذي أَضَاءَ بصنعته النُّوْر والحَلَك ، وسير بقدرته الفلك والفلك ، خَلَقَ آدم فَحَسَدَهُ الشيطان وغبطه المَلَك، تعالى عن وزير، وتنزه عن نظير، قَبِلَ من خلقه اليسير، وأعطى من رزقه الكثير.

أحمده – سبحانه – وهو بالحمد جَدِيْر، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد البشير النذير، وعلى آله وصحبه ذوي القَدْرِ الكبير .... وبعد:

فمن المعلوم لدى باحثي الأدب أن النثر يمثل جانبًا مهمًا من تراثنا الأدبي والفكري والحضاري؛ لأنه لغة العقل والتفكير، لذا فهو فى حاجة ملحة إلى مزيد اهتمام وعناية من الباحثين والدارسين ليكشفوا عن كنوزه ولآلئه، وتعد الوصايا أحد فنون النثر التي نالت شهرة كبيرة بين الفنون النثرية، ومن بين الوصايا تأتي وصايا الآباء للأبناء، فمما لا شك فيه أن عاطفة الأبوة من أقوى العواطف، وحب الآباء لأبنائهم من أعظم أنواع الحب، وحرصهم على مصلحة أبنائهم من أشد أنواع الحرص، ولا غرابة في ذلك فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلا أنصح من الأب لابنه، ولا أشفق منه عليه، وليس في الأرض من تطيب نفسه أن يفضل عليه أحد سوى ولده، فالوالد هو الوحيد الذي يتمنى أن يرى ولده أفضل منه، بل قد يصل به الأمر إلى أن يَحرِم نفسه من أجله، ويسهر الليالي من أجل راحته، ومن هنا كان لا بد أن يقدم الوالد لولده النصيحة التي يستعين بها في حياته، حتى يشعر أنه أدى بعض ما عليه من حقوق تجاه أولاده، ومن الواضح أنه لا يوجد والد أو والدة على مر العصور لم يقوما بتقديم نصيحة لأولادهما مع الفارق في طريقة تقديم هذه النصيحة، فقد تجد من يقتصر على تقديمها شفهيًا فضلا عمن تيسر لهم الأمر، فقاموا بكتابة هذه الوصايا والنصائح وأهدوها إلى أبنائهم؛ لتكون نبراسًا لهم يهتدون بها في مستقبل أيامهم، يقول ابنُ القيم محذرًا من الإهمال والتقصير في تربية الأولاد ونصحهم وإرشادهم: (فوصيةُ الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ﴾[الإسراء:٣١] ، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه،

وتركه سُدىَ، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت، إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا).[١]

وتعد وصايا الآباء للأبناء ثروة أدبية على مر العصور، فهو أحد فنون النثر فى أدبنا العربي منذ نشأته، فقد وردت آثاره مع أقدم ما وجد من آثار أدبية، ثم انتشرت فى العصر الجاهلي مرورًا بالعصر الإسلامي، والأموي، والعباسي، والأندلسي حتى وصل إلى العصر الحديث.

فوصايا الآباء للأبناء من أقدم أنواع الوصايا، ولها جذورها وأصولها منذ القدم – شعرًا ونثرًا – فهي قديمة قِدمَ الإنسان وهذا أمر طبيعي؛ لأنها مرتبطة بعلاقة الأب بأبنائه، وهى علاقة فطرية قديمة منذ بدء الخليقة، وباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه النصائح الأبوية مشهورة في كتب الأدب والتاريخ وتناولتها كثير من الدراسات والبحوث فهي غنيّة وكثيرة.

ولعل من أبرز وأشهر وصايا الآباء للأبناء، بل ومن أقدم الآثار الثابتة والصحيحة التي وصلتنا من هذا اللون الأدبي (وصايا الحكيم لقمان لولده) ، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي تعد بحق النواة الأولى لهذا اللون الأدبي، فالحكيم لقمان يعد أول من مهد الطريق للآباء ليسيروا على نهجه، ويقتفوا أثره في نصح أبنائهم، ويكفى هذه الوصايا تشريفًا وتعظيمًا أن الله ﷻ ذكر بعضًا منها في القرآن الكريم على لسان قائلها – الحكيم لقمان– فهي بذلك قد كُتب لها البقاء ما دامت السماوات والأرض يتلوها الجيل بعد الآخر – سواء كانوا آباء أو أبناء – مستفيدين بما فيها من حكم نافعة، ونصائح جامعة.

وقد تطور هذا الفن عبر العصور المختلفة، (فمع ظهور الإسلام استمرت وصايا الآباء إلى أبنائهم وتأثرت تلك الوصايا بالمفاهيم الجديدة والقيم الإسلامية والنماذج الأدبية الرفيعة التي مثلها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما تبع ذلك من تحولات جوهرية في حياة الفرد والمجتمع وعلاقة الإنسان بغيره من البشر) [٢]، فالإسلام دين يدعو إلى النصيحة، وينادى بها في كل الأوقات، فالنصيحة مفروضة على الإنسان تجاه أخيه الإنسان؛ لذا قال رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة)[٣]، وإذا كان الإسلام ينادي بوجوب النصيحة بين الناس عامة، فمن الأولى أن تكون أكثر وجوبًا بين الآباء والأبناء، وخصوصًا بعد أن نادى رسول الله ﷺ بهذا اللون من النصيحة في قوله:(ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيده إياه أو جهل قبيح يكفه عنه ويمنعه منه)[٤] وكان لهذا الحديث أثر كبير في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم فقد

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود - الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، ت/ محمد على أبو العباس ، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع بالقاهرة - صـ ١٥٦.

(2) وصايا الآباء في تربية الأبناء - محمود شاكر سعيد - صـ٩٦.

(3) جزء من حديث تميم الداري ﷺ رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: بيان الدين النصيحة، رقم (٨٢).

(4) رواه الإمام الترمذي في سننه في البر والصلة رقم (١٩٥٢).

حرصوا كل الحرص على تربية أبنائهم، وتنشئتهم التنشئة الدينية الصالحة النابعة من روح الدين، خاصة بعد علمهم بأنهم مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى عن هذه التربية، وأن تقصيرهم فيها يعد تقصيرًا في جانب من جوانب الدين، فأخذوا يلبون نداء رسول الله ﷺ متوجهين لأبنائهم بالكثير من الوصايا والنصائح، ومن هنا كثر هذا اللون الأدبي في عصر صدر الإسلام، حيث اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم ببناء شخصية أبنائهم انطلاقًا من تعاليم الإسلام وأساليبه.

والملاحظ في وصايا الآباء للأبناء في عصر صدر الإسلام محاكاتها لأسلوب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتضمين بعض ألفاظهما، وبروز الطابع الديني فيها بشكل واضح، وعدم خروجها عن تعاليم الشريعة الإسلامية، كما يظهر فيها التحول العام الذي أحدثه الإسلام في المجتمع العربي، إذ حلت الأخوة مكان النزاع والأنانية الفردية، وحل الجهاد محل الغزو والغارة، وحلت الجماعة المؤمنة، والمجتمع المتآخي الأفراد، والمتوحد في أهدافه واتجاهاته مكان القبلية وقيمها وتوجهاتها. (١)

وقد كثر هذا النوع من المؤلفات في القرون المختلفة، وصارت تستوعب كتبًا بأكملها يقدمها الوالد لولده، ففي القرن السادس الهجري قدَّم بعض العلماء وصاياهم لأبنائهم على شكل رسائل وكتب كاملة، منها كتاب (الشيب والشباب) للأمير الأديب الشاعر الكبير أسامة بن منقذ الذي ألفه لولده، وكان ممن زينوا المكتبة العربية بمؤلفاتهم، ومحضوا أبناءهم نصائحهم وخصوهم بوصاياهم التي قدموها لأبنائهم **(الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي)** الذي كتب لولده أبي القاسم رسالة سماها **(لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)** والتي تعد سجلا حافلا بالأخلاق الإسلامية والقيم النبيلة، والمبادئ الأصيلة، والأسس الراسخة التي سجلها الآباء فى كتاباتهم والتي تعد أساسًا متينًا من أسس التربية، وهذا الكتاب هو الذي سنتناوله في صفحات البحث.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع في هذا الموضوع، تبين أن بعض الكتاب تناولوا هذه الرسالة بالدراسة من الناحية التربوية والدعوية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

١- الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـــ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) بحث للدكتور/ خالد بن سعد الزهراني، منشور بمجلة الدراسات الدعوية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن، رجب ١٤٣٧هـــ.

٢- المعطيات التربوية في رسالة ابن الجوزي إلى ولده: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، رضا سيد هاشم، بحث منشور بمجلة كلية التربية جامعة كفر الشيخ، العدد الثاني، المجلد الثامن عشر، سنة ٢٠١٨م.

(1) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء - محمود شاكر سعيد - صـ١٢٤ ، ١٢٥.

٣- قراءة تاريخية تربوية في كتاب (لفتة الكبد في نصيحة الولد) لابن الجوزي، بحث للكاتبة/ أم الخير عثماني، منشور بمجلة الونشريس التاريخية الجزائرية، المجلد٣، العدد ٢، بتاريخ ٢٠٢٤/٧/٣١م.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث فيما يأتي:

- يعد هذا البحث محاولة من الباحث لاستخراج تأثر الكتاب المسلمين في القرون الأولى بالإسلام في كتاباتهم، ومؤلفاتهم، وعدم خروجهم عن الإطار الديني، ومحاولة المحافظة على تقديم الآراء التربوية الإسلامية لأبنائهم.
- تكمن أهمية البحث في أن كاتب الرسالة – ابن الجوزي- يعتبر أحد أعلام المسلمين في القرن السادس الهجري، وله باع كبير في المؤلفات التربوية، مما يجعل نصائحه لولده في الرسالة ذات قيمة تربوية كبيرة تستحق إلقاء الضوء عليها.
- عظم شأن الوصايا عامة، ووصايا الآباء للأبناء خاصة؛ لأنها توطد العلاقة بين الآباء والأبناء وتؤثر على التربية السليمة للأبناء.
- مدى تأثر الكاتب في الرسالة بالقرآن، والسنة، والأخلاق الإسلامية، وبأخلاق السلف الصالح التي يحاول من خلال رسالته غرسها في نفس ابنه، بل وفي نفس كل من يتلقى الرسالة.
- التعريف بأحد رجال الفكر التربوي الإسلامي وهو (ابن الجوزي) وبما قدمه من أفكار تربوية.

أسباب اختيار موضوع البحث :

لما كانت تربية الأبناء من أشق الأعمال التي يقوم بها الآباء خاصة في هذا العصر الذي انفتحت فيه الدنيا، وامتلأت بالمستحدثات التي لم تكن موجودة من قبل، وأصبحت سهلة وميسرة في أيدي الشباب، فإن التقويم صار أشد صعوبة، مما جعل الباحث يفتش في الآثار القديمة التي تعين على التربية، وكان من هذه الدرر كتاب **(لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)** لابن الجوزي، فإن فيه من الوصايا والنصائح التربوية ما يحتاج إلى استخراجه من ثنايا الكتاب، ومحاولة إبرازه وتقديمه لمحاولة الاستفادة به في المناهج التربوية المعاصرة، ومن هنا كان اختيار هذا الموضوع ليكون خطوة على طريق البناء التربوي الإسلامي المنشود؛ لإرساء قواعده وأهدافه عن طريق الفهم العميق لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكذلك من خلال منهج ابن الجوزي الذي يعد معيناً فقد كانت له آراؤه التربوية المهمة التي تحتاج إلى إعادة إبرازها للمجتمع؛ لعلها تفيد في تربية الأبناء، وتسهم في تأصيل الفكر التربوي عند الآباء، وتسهم في تخفيف الانبهار بالفكر الغربي ونظرياته المعاصرة.

منهج البحث :

إن طبيعة الدراسة هي التي تحدد نوع المنهج المستخدم فيها حسب طبيعة الموضوع، ومتطلبات البحث، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة أكثر من منهج.

١- **المنهج التاريخي:** حيث إن موضوع البحث يرتبط بالماضي، ويعتمد على جمع المعلومات والنصوص ، وكذلك يستخدم المنهج التاريخي في التعريف بعصر ابن الجوزي، وحياته، وبيئته، مما يجعل الاعتماد على المنهج التاريخي مهمًا جدًا.

٢- **المنهج الوصفي:** الذي يعد من أنسب مناهج البحث لهذه الدراسة، حيث يستطيع الباحث من خلاله الوقوف على نصوص الوصية، ويصفها وصفًا فكريًا، واجتماعيًا وافيًا.

٣- **المنهج التحليلي:** وهذا المنهج يفيد الباحث في تحليل النص إلى عناصره الفنية الأولى، والوقوف على أهم القيم، والخصائص الفنية والجمالية للنصوص.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته، **والمبحث الأول:** ابن الجوزي حياته وعصره ومؤلفاته مقسم إلى مطلبين، **فالمطلب الأول بعنوان:** وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري، **والمطلب الثاني بعنوان:** أثر الإسلام في وصية ابن الجوزي، **والمبحث الثاني بعنوان:** الدراسة الفنية والأدبية لوصية ابن الجوزي، ثم **الخاتمة**، ثم **فهرس المراجع**، ثم **الفهرس العام**.

لذا حداني الأمل أن أستعين بالله تعالى، وأن أدلو بدلوي وأسهم بجهدٍ علمي متواضع في الكتابة في هذا الموضوع، وألقي الضوء على لون أدبي مهم من ألوان الكتابة النثرية وهو كتابات الآباء للأبناء.

والله أسأل أن يمن علي بشرف طلب العلم، وأن يحشرني يوم القيامة في زمرة العلماء ورثة الأنبياء، وأن يجعل هذا العمل صالحًا خالصًا نافعًا متقبلا، وأن يرزقني فيه التوفيق والسداد، وأن يجعلني ذكرى طيبة مع العلم والعلماء، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد

ابن الجوزي حياته وعصره ومؤلفاته

ابن الجوزي (اسمه ونسبته)

هو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن الفقيه عبد الرحمن ابن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي. [١]

مولده

ولد ابن الجوزي في درب حبيب ببغداد، واختلف المؤرخون في تاريخ ولادته فمنهم من قال: ولد عام (٥٠٨هـ)، وقيل: (٥٠٩هـ)، وقيل: (٥١٠هـ)، إلا أن أغلب المؤرخين رجحوا ولادته عام (٥١٠هـ)[٢]، وقد اختلف في سبب نسبته (الجوزي) فقيل: عرف جدهم بالجوزي بجوزة [٣] كانت في داره بواسط لم يكن بواسط جوزة سواها، وقيل: الجوزي نسبة إلى موضع يقال له: (فرضة الجوز)، وقيل: نسبة إلى محلة بالبصرة تسمى (محلة الجوز).[٤]

نشأته وتربيته

نشأ ابن الجوزي يتيمًا فقد مات أبوه وعمره ثلاث سنين، ولم تلتفت أمه إلى تربيته وتوجيهه، إنما قامت عمته بإرساله إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ليتلقى منه العلوم، وعلى الرغم من يتمه المبكر إلا أنه عاش حياة مرفهة، حيث قال عن نفسه: وقد ربيت في نعيمها، وغذيت بلبنها، ولطف مزاجي فوق لطف وضعه بالعادة، وقد نتج هذا الترف؛ لأن أباه كان موسرًا وخلف له مالا كثيرًا فكان ذلك خير معين له على طلب العلم، وكان منذ صغره متدينًا لا يخالط أحدًا، ولا يأكل شيئًا فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان، وكانت اهتماماته الأولى مركزة على طلب العلم، حتى ظهر نبوغه وحبه للعلم في وقت مبكر. [٥]

---

(1) من روائع الوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد - أبو الفرج بن الجوزي - تحقيق: أشرف عبد المقصود عبد الرحيم - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ترجمة صاحب الوصية - ص٩.

(2) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٨١م، المجلد الأول، صـ ٥٢٠

(3) الجوزة نوع من العنب ليس بكبير ولكنه يصغر إذا أينع وهو مر يؤكل وجمعها جوزات.

(4) يراجع : آراء ابن الجوزي التربوية " دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة) د/ ليلى عبد الرشيد عطار، منشورات أمانة للنشر – الولايات المتحدة الأمريكية- الطبعة الأولى ١٤١٩ه – ١٩٩٨م - صـ ٧١

(5) يراجع : لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة – بدون تاريخ – صـ ٤٦.

شيوخه

حفظ ابن الجوزي القرآن الكريم في سن مبكرة، وقرأه على جماعة من القراء بالروايات، وتنقل في حلقات العلم بالمساجد، حيث تلقى علومه على يد عدد كبير من شيوخ وعلماء عصره في مختلف العلوم، ومنهم (أبي القاسم بن الحصين، وأبي عبد الله الحسين بن محمد البارع، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وأحمد بن أحمد المتوكلي، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، والفقيه أبي الحسن بن الزاغوني، وهبة الله بن الطبر الحريري، وأبي غالب ابن البناء، وأبي بكر محمد بن الحسين المزرفي، وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وأبي القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني الخطيب، والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وإسماعيل بن السَّمَرْقَنْدِي، وطائفة غيرهم يصل مجموعهم إلى نيف وثمانين شيخًا.

حرصه على تعلم العلم وتعليمه لتلاميذه

انشغل ابن الجوزي بتحصيل العلم في فنون كثيرة، وأمضى عهد شبابه وصباه في طلب العلم، ولقي في سبيل الحصول عليه كثيرًا من المصاعب التي جعلته يشتعر بمتعة العلم، وأمضى فترة شبابه في الوعظ وتمرس فيه منذ صغره حتى فاق أقرانه، وكان له مجلس علم كبير يحضره ملوك ووزراء وخلفاء، ويقال إن بعض المجالس حضرها مائة ألف شخص، وكان صاحب الترجمة رأسًا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهًا ويُسهب ويُعجِبُ ويُطرِبُ ويُطنب، فهو حامل لواء الوعظ والقيم بفنونه مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحرًا في التفسير، وعلامة في السير والتاريخ، موصوفًا بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهًا، عليمًا بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف مع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة.(١)

وحدث عنه كثير منهم: ولده الصاحب العلامة محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله، وولده الكبير علي الناسخ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب مرآة الزمان، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفّق الدين ابن قدامة، وخلق سواهم.(٢)

أولاده

ذكر المترجم له في مقدمة رسالته لولده، أنه رزق بعشرة من الأولاد خمسة ذكور وخمس إناث، فمن الذكور (أبو بكر عبد العزيز) وكان أكبر أولاده ومات في حياة أبيه، و(أبو محمد يوسف محي الدين)، و(أبو القاسم) الذي كتبت له الرسالة ، ومن البنات (رابعة، زينب، جوهرة).(٣)

---

(1) يراجع : شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن العماد أبو الفلاح الحنبلي – المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – بدون تاريخ- الجزء الثالث - صـ ٣٣٠.

(2) من روائع الوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – ابن الجوزي – تحقيق: أشرف عبد المقصود عبد الرحيم – ص ١٠ ، ١١.

(3) من روائع الوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبو الفرج بن الجوزي – تحقيق: أشرف عبد المقصود– صـ ٢٦.

مؤلفاته

يعد ابن الجوزي من أكثر من ألف في القرن السادس الهجري، فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان الشيخ أبو الفرج متفننًا كثير التصانيف، له مصنفات في أمور كثيرة عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت له بعد ذلك ما لم أره)، وقال الذهبي عنه: (وما علمت أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل، فقد خلف ابن الجوزي مؤلفات في مختلف العلوم والفنون من التفسير، والفقه، والحديث، واللغة، والتاريخ، والوعظ، والرقائق، والسير، والأدب، وغير ذلك، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وكان من أحسن الناس كلامًا، وأتمهم نظامًا، وأعذبهم لسانًا، وقيل إن مجموع تصانيفه بلغت مئتان ونيف وخمسون كتابًا، وقيل تجاوزت الثلاثمائة، فمن مؤلفاته (التيسير في التفسير) مجلد، (فنون الأفنان في علوم القرآن) مجلد، (ورد الأغصان في معاني القرآن) مجلد، (النبعة في القراءات السبعة) مجلد، (الإشارة في القراءات المختارة) جزء، (المغني) كبير، (جامع المسانيد) سبع مجلدات، (مشكل الصحاح) أربع مجلدات، (المنفعة في المذاهب الأربعة) مجلدان، (التلخيص في الفقه) مجلد، (مسبوك الذهب في الفقه) مجلد، وغير ذلك الكثير من المؤلفات، وقد ألف الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتابًا في مصنفات ابن الجوزي سماه (**مؤلفات ابن الجوزي)** طبع ببغداد سنة ١٩٦٥م، ذكر فيه المؤلف كل آثار ابن الجوزي ومؤلفاته المخطوط منها والمطبوع، فذكر ستة وستين كتابًا مطبوعًا ومائة وستة وستين مخطوطًا، وقد وصل إلى إجمالي خمسمائة وأربعة وسبعين مؤلفًا تركها ابن الجوزي، وذكر المؤلف أسماءها مرتبة على حروف المعجم، وله ديوان شعر عدة مجلدات.

ومن هذه المؤلفات ما أشار إليها ابن الجوزي بنفسه في مؤلفاته الأخرى فكان يذكر أنه ألف كتابًا في فن كذا وسماه كذا، إلى جانب ما أشير إليها من مؤلفين آخرين أنها من تأليف ابن الجوزي، وقد ذكر العلوجي أن هناك أسماء كتب ذكرها بعض المؤلفين أنها لابن الجوزي لكن ليس لها نسخ موجودة.[١]

مكانته العلمية

يتمتع ابن الجوزي بمكانة علمية مرموقة اكتسبها من كثرة كتاباته في مختلف العلوم والمعارف وإجادته معظمها، وقد شهد له بذلك كثير من العلماء، فقد قال عنه ابن رجب: إنه (الحافظ المفسر الفقيه الواعظ الأديب شيخ وقته وإمام عصره) ، وقال عنه الداودي صاحب طبقات المفسرين: (الإمام العلامة حافظ العراق وواعظ الآفاق صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم)، وقال عنه ابن كثير: (ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخًا). [٢]

(1) يراجع : مؤلفات ابن الجوزي – تأليف عبد الحميد العلوجي – منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق – ط١ – ١٩٩٢م.

(2) يراجع: آراء ابن الجوزي التربوية (دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة) د/ ليلى عبد الرشيد عطار - منشورات أمانة للنشر - الولايات المتحدة الأمريكية - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م - صـ ٩٥.

وفاته

مر ابن الجوزي في أواخر عمره بمحنة، حيث وشي به إلى الخليفة، فجاء من شَتَمَهُ وأهانه، وأَخَذَهُ قبضًا باليد، وختم على داره، وشتت عياله، ثم أقعد في سفينة إلى مدينة واسط، فَحُبِسَ بها في بيت، فبقي على ذلك خمس سنين ما دخل فيها حمامًا.

وفي ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان عام خمسمائة وسبع وتسعين وافته المنية بعد أن مرض خمسة أيام، وكانت جنازته مهيبة وكان يومه مشهودًا، حيث صليت عليه الجنازة في السحر ولم يصلوا به المقبرة إلا وقت صلاة الجمعة. (١)

ترجمة الابن الموصى إليه بالرسالة وعلاقته بأبيه

كتب ابن الجوزي رسالته المسماة (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) لولده بدر الدين أبو القاسم على ابن الشيخ المولود في رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وقد قدم ابن الجوزي هذه الوصية لولده لما رأى منه نوع توان عن طلب العلم؛ ليحثه بها ويدفعه إلى الأمام بعد أن لزم الابن البطالة وترك الوعظ فترة من الزمن وانشغل بما لا يجوز، ولم ينتصح ولم يستجب مما كان سببًا في هجر والده له ومقاطعته إياه، ومن الظاهر من خلال سيرته أنه قد تاب ورجع إلى العلم، حيث قال عنه الحافظ الذهبي في ترجمته لأبي القاسم: (الشيخ الفاضل المسند كان كثير النوادر حلو الدعابة وكان متعففاً يخدم نفسه)، وقال عنه ابن كثير: (كان شيخًا لطيفًا ظريفًا)، وأشار ابن النجار إلى أنه كان يكتب في اليوم عشر كراريس، وهو الذي صلى الجنازة على أبيه، وقد وافته المنية في رمضان سنة ثلاثين وستمائة. (٢)

المبحث الأول : ابن الجوزي حياته وعصره ومؤلفاته

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري.

المطلب الثاني: أثر الإسلام في تشكيل وصية ابن الجوزي.

المطلب الأول

وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري

قبل الحديث عن وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري، نتعرف في عجالة عن حالة العصر الذي عاش فيه الكاتب وهو القرن السادس الهجري الذي يبدأ من عام ٥٠١ هـ وحتى عام ٦٠٠ هـ ويقابله في الميلادي الفترة من عام ١١٠٦م وحتى عام ١٢٠٢م، ولم يكن القرن السادس الذي عاش فيه ابن الجوزي على وتيرة واحدة من النواحي المختلفة السياسية والاجتماعية والأخلاقية إنما كانت فترة متقلبة، فقد عاصر ابن الجوزي أكثر من حاكم، ومع تعدد الخلفاء تنوعت الأوضاع السياسية ما بين قوى وضعف وعدالة وظلم

(1) من روائع الوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبو الفرج بن الجوزي – تحقيق : أشرف عبد المقصود – صـ ١٣.
(2) السابق – صـ ٢٠ ، ٢١.

واستقرار واضطراب، فعاصر ابن الجوزي هذه الأحداث المختلفة، وكانت علاقته بالخلفاء وطيدة؛ لذلك اكتفى في كتاباته بسرد الأحداث السياسية دون نقد أو تمحيص وكان يتفاعل مع أحداث عصره، ولا شك أن الحالة السياسية كان لها أثر على نواحي الحياة المختلفة، فنتيجة للأوضاع السياسية المختلفة وكثرة الفتن والاضطرابات ظهرت فوارق اجتماعية في طبقات المجتمع، فظهرت بعض المجاعات، وانتشر الفقر في أوساط المجتمع، بينما كانت الطبقات العليا تغرق في الترف، فنتج عن ذلك اضطراب في الظواهر الأخلاقية في المجتمع، وانتشرت ظواهر فساد متعددة، وظهرت الفوضى والتسيب الأخلاقي، ولا شك في أن النواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية كان لها أثرها على الناحية العلمية، فنتج عن هذه الظروف ظهور اتجاهين متضادين، فالاتجاه الأول: اتجاه كبت وتضييق ومحاربة للفكر وطمس للمعرفة والعلم، واتجاه آخر: يفتح الطريق أمام الثقافات المختلفة ويعطي كل ذي رأي فرصة لإظهار رأيه، وكان من بين الخلفاء المتعاقبين على الحكم في هذا القرن من اهتم بالعلم والتأليف، وكثرت المكتبات العامة التي تساعد على نشر العلم، وكثرت الجوامع التي تهتم بالعلم والتعليم إلى جانب انتشار المدارس التعليمية، فكان نتيجة ذلك ظهور عدد كبير من العلماء الذين عرفوا بتبحرهم في العلوم المختلفة وبكثرة مؤلفاتهم، كأبي حامد الغزالي، وابن عقيل البغدادي، والدينوري، والجواليقي، وقد تميز هذا القرن بكثرة الاتجاهات الفكرية التي كانت نتيجة طبيعية للتقلب والفوضى والتناقض السياسي والاجتماعي والأخلاقي، وهذه الكثرة في الاتجاهات الفكرية جعلت هذه الحقبة من أهم الحقب الفكرية والأدبية، وذلك لانتشار التيارات الفكرية التي تبلورت مفاهيمها وأسسها في القرون السابقة، فقد ظلت التيارات تتشعب وتتطور في كل المجالات مع تطور الحياة السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية حتى بلغت ذروتها في القرن الخامس والسادس الهجري، ففي هذه الفترة التاريخية تأججت روح العصبية المذهبية، وكثر الصراع في كل المجالات خاصة الصراع الديني الذي تميز بالغلو والتطرف وبلغ إلى حد التكفير والاقتتال والاضطراب، مما حال دون الانسجام المطلوب بين فئات المجتمع ومستوياته خاصة في عاصمة الخلافة بغداد وما جاورها، ولا شك أن هذه الصراعات والفتن تركت آثارًا وخيمة انعكست على واقع الأمة الإسلامية بأبعاده ومجالاته المتعددة دينيًا وفكريًا وأدبيًا وثقافيًا.(1)

ومن هنا جاء حرص العلماء على توجيه أبنائهم بوصاياهم لعلها تكون لهم طوق نجاة أمام هذه التقلبات الفكرية، وفيما يلي نتعرف على وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري.

وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري مفهومها وأهميتها:

تعددت تعريفات العلماء للوصايا، لكن معظمها يدور حول معنى واحد وهو النصح والإرشاد والتوجيه، فعرفها بعضهم بأنها: (نوع من الأدب غايته التوجيه والإرشاد والحث على اكتساب المحامد أو التبصير

(1) يراجع : آراء ابن الجوزي التربوية (دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة) د/ ليلى عبد الرشيد عطار - صـ ٥٩ وما بعدها .

بحسن السياسة أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق)[1] ، ووصايا الآباء للأبناء من أعظم وأجل أنواع الوصايا لما تحمله من صدق في توجيه النصيحة نابع من صدق المشاعر التي يحملها الآباء تجاه أبنائهم، وقد عَدَّ بعض العلماء التواني عن تقديم النصيحة من الآباء للأبناء نوعًا من العقوق من الآباء للأبناء، يقول ابنُ القيم محذرًا من الإهمال والتقصير في تربية الأولاد ونصحهم وإرشادهم: (فوصيةُ الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ﴾[الإسراء:٣١] فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سُدىَ، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت، إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا).[2]

وهكذا يبرز ابن القيم مدى أهمية نصح الآباء للأبناء ويعتبر تقصير الآباء في هذا النصح غاية الإساءة إليهم، بل يعده سببًا رئيسًا من أسباب فسادهم وإضاعتهم في الحياة، بل هو غاية العقوق من الآباء للأبناء.

وتكمن أهمية وصايا الآباء للأبناء في أنها منهج الأنبياء والصالحين مع أولادهم فقد دأبوا عليها في كل عصر وزمن مع أولادهم، وقد صرح ابن المقفع بأن واجب الشكر هو الوصية للابن حيث قال: (أي بني لما بشرني المولى تعالى بوجودك، ومَنَّ عليّ بعطائك، وقد أبلغك إلى هذه السن والدرجة والحد والرتبة، بأن صرت مستعدًا لقبول الآداب، وقابلا لعدة الفضل فقد وجب عليّ أن أؤدي شكرًا للخالق ﷻ على هذه الموهبة الهنية، والعطية السنية، وبمقتضى الكلام الرباني ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3] أطلب بأداء الشكر مزيد الاستمتاع والانتفاع ببقائك، وأبدى نظرا شافيا وفكرا كافيا في الاجتهاد مع نفسي وبذل المجهود من أجلك حتى تتعظ بأنوار آدابي وتكسب حظا تستطيع أن تنتفع وتتمتع به، فيكون ذلك حجة إشفاق أبوتي عليك، وقضاء لحق بنوتك الذي أوجبه الله تعالى عليّ كأب، ويكون في المستقبل داعيًا وموجبًا لأن تبر بى وتحسن إليّ جزاء ذلك وتحترز طريق العقوق والعدوان، وتعمل بحكم ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾[4] وتساعدني في أموري، ولا تضن بالمعونة والمؤاتاة والمسامحة والمواساة في كل ما يسنح ويعرض..)[5].

---

(1) وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية – روناك توفيق على النورسي – دار الكتب العلمية – ٢٠٠٧م - صـ ١٤ .

(2) تحفة المودود بأحكام المولود - الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، ت/ محمد على أبو العباس ، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع بالقاهرة - صـ ١٥٦.

(3) جزء من الآية رقم (٧) من سورة إبراهيم.

(4) الآية رقم (٦٠) من سورة الرحمن.

(5) الأدب الوجيز للولد الصغير - عبد الله ابن المقفع - تعريب وتحقيق/ محمد غفراني الخراساني - مطبعة عالم الكتب القاهرة - ١٩٢٢م - صـ ٣ ، ٤.

ولما كان بعض الآباء يتميز بالعلم والشرف، ويريد أن يستمر ذلك في نسله جيلا بعد جيل، فقد حرصوا على تعليم الآباء ما ينفعهم، ويجعلهم خير خلف لخير سلف.

ومن ألوان التطور في هذا اللون الأدبي أن معظم الآباء قد نظر إلى هذه الوصايا الموجهة للأبناء على أنها عمل إبداعي يحرص على تحقيق المواصفات الإبداعية الفنية، ويحتاج إلى موهبة ودراية؛ لأنها أصبحت اختزالا للثقافات والمفاهيم والقيم والطموحات المستقبلية، وليست مجرد حكمة مختصرة أو وصية قصيرة أو رسالة محددة يرسلها الأب إلى الابن؛ ليعالج بها قضية أو مشكلة اجتماعية خاصة كما كانت من قبل في العصور الأدبية القديمة [1] ، بل أصبحت تستوعب فى بعض الأحيان كتبًا بأكملها من أولها إلى آخرها مُعَنونة بأسماء مختلفة تدل على أنها تخص ابن الكاتب أو ابنته، وأحياناً تسمى بأسماء الأبناء المقدمة لهم هذه المؤلفات، وقد تكرر هذا العمل في القرن السادس الهجري فوجدنا بعض العلماء يقدم وصايا في كتب كاملة للأبناء، ومن هؤلاء الأمير الأديب الشاعر أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٦ هـ والذي ألف لابنه كتابًا سماه (الشيب والشباب) ، وممن قام بهذا العمل أيضًا في القرن السادس الهجري العلامة النحوي اللغوي القاضي أحمد بن علي بن المأمون البغدادي والذي ألف لأولاده كتابًا سماه (شرح الفصيح)، وكذلك الإمام الكبير أبو الفرج الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وهو صاحب كتاب **(لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)** الذي ألفه لولده أبي القاسم، وهو محل البحث وفي المبحث الثاني نتعرف على هذا الكتاب.

التعريف بوصية ابن الجوزي:

كتب ابن الجوزي وصية لولده وسماها **(لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)**، وقد سمى ابن الجوزي وصيته بهذا الإسم وهو يحمل معاني كبيرة، فكلمة (لفتة) تعني الإلتفاتة والانتباه من قبل الوالد لأجل تنبيه الولد على سبيل الشفقة والمحبة، وكلمة (الكبد) تعني أن الوصية نابعة من الكبد والقلب؛ لأن الولد بضعة من أبيه فيقال عن الولد (فلذة الكبد) وكأن ابن الجوزي يقصد أن هذه نصيحة من القلب إلى الولد، والوصية للولد؛ لأنه جوهر نفيس، وهو كالإناء الفارغ يمتلأ بما وضع فيه، فإن علمه الخير كان نبتة صالحة للمجتمع، وإن عوَّده الشر كان شرًا على المجتمع.

وقد حصلت على ثلاث نسخ لهذه الوصية، أما الأولى فهي النسخة التي طبعت ضمن مجموع دفائن الكنوز للشيخ محمد حامد الفقي والتي طبعت سنة ١٣٤٩هـ، والثانية طبعة مكتبة الإمام البخاري وقام عام ١٤١٢هـ وقام بشرحها وتحقيقها أشرف عبد المقصود عبد الرحيم وتقع في ست وثمانين صفحة من الحجم المتوسط، أما الطبعة الثالثة فهي طبعة دار المقتبس والتي صدرت عام ١٤٣٥هـ وقام بتحقيقها عبد الحميد محمد الدرويش وتقع في سبعين صفحة من القطع المتوسط، وتتكون هذه الوصية من مقدمة ذكر فيها المصنف السبب الباعث على كتابة الوصية، ثم بدأ المؤلف في فصول الكتاب وهي ثمانية عشر فصلا، لكل

(1) انظر: وصايا الآباء في تربية الأبناء - محمود شاكر سعيد - صـ ٣٧٥ وما بعدها.

فصل منها عنوان يناسب موضوع الفصل، ولكن يبدو أن هذه العناوين من عمل المحقق وليست من أصل الوصية؛ لأن هذه العناوين مختلفة في كل نسخة، ففي إحدى النسخ كان الفصل الأول بعنوان (ترغيب وترهيب بين يدي هذه الوصية النافعة) ، وفي النسخة الثانية ورد نفس الفصل بعنوان (استحضار العقل وإعمال الفكر) ، وجاء الفصل الأخير في إحدى النسخ بعنوان (نسب المصنف) ، وفي النسخة الثانية بعنوان (خاتمة حسنة)، ومن خلال البحث في طبعات الكتاب كانت طبعة دار المقتبس التي حققها عبد الحميد محمد الدرويش أكثرهم عناية، فقد اعتنى بها المحقق وأولاها عناية كبيرة، حيث قام بضبط نصوص الوصية كلها وتشكيلها، وعزو الآيات القرآنية إلى أماكنها، وتخريج الأحاديث النبوية، وترجمة بعض الأعلام الوارد ذكرهم في الوصية، وشرح الكلمات الغريبة، وترقيم فصول الرسالة ووضع عناوين لها، بالإضافة لعمل فهرس يشتمل على تصانيف المؤلف الوارد ذكرها في الوصية، وقد بدأ الكاتب وصيته بتقديم موجز بيَّن فيه السبب الذي دفعه لكتابة هذه الوصية لولده، حيث يقول في أولها لولده الموجه له الوصية بعد الحمد والثناء والتذكير بنعم الله عليه: **(ثُمَّ رَأَيتُ مِنهُ نَوعَ تَوَانٍ عَنِ الجِدِّ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَكَتَبْتُ لَهُ هَذِه الرِّسالَةَ أَحُثُّهُ بِهَا، وأُحَرِّكُهُ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِي فِي كَسْبِ العِلْمِ، وأَدُلُّهُ عَلَى الالتِجَاءِ إِلى المُوَفِّقِ سُبحَانَهُ وتَعَالى ، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّهُ لا خَاذِلَ لِمَنْ وَفَّقَ ولا مُرشِدَ لِمَنْ أَضَلَّ)** [1]، وكان من أول ما أوصى به ابن الجوزي ولده ونبهه إليه استحضار العقل وإعمال الفكر، فالعقل هو أهم ما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات، وفي ذلك يقول داعيًا ولده إلى التفكير والتدبر فيما هو كائن: **(اعْلَمْ يَا بُنَيَّ وَفَّقَكَ الله للصَّوابِ: أَنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزُ الآدَمِيُّ بِالعَقْلِ إِلا لِيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ، فاسْتَحْضِرْ عَقْلَكَ وأَعْمِلْ فِكْرَكَ)** [2]، ويلفت الوالد نظر ولده إلى ضرورة العلم؛ لأن به تتحقق الفضائل فيقول لولده: **(فَلَيْسَتْ الفَضَائِلُ الكَامِلةُ إِلا الجَمْعُ بَيْنَ العِلْمِ والعَمَلِ، فإِذَا حَصَلا رَفَعَا صَاحِبَهُمَا إِلى تحْقِيقِ مَعرفَةِ الخَالِقِ سُبحَانَهُ وتَعَالى)** [3] ، ويلفت الوالد نظر ولده إلى أن النفس البشرية قد تصاب في بعض الأوقات بنوع من الفتور أو قصر الهمم، وعلى المرء ألا يستسلم لهذا الفتور بل عليه أن يقاومه ويحث نفسه على طلب العلم ويبعدها عن الكسل، فيقول في هذا المعنى: **(وَإِنَّمَا تَقْصُرُ بَعضُ الهِمَمِ فِي بَعْضِ الأَوقَاتِ، فَإِذا حُثَّتْ سَارَتْ، ومَتَى رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ عَجزًا فَسَلِ المُنْعِمَ، أَو كَسَلا فَالْجَأْ إِلَى المُوَفِّقِ)** [4]، ثم بدأ الوالد بالحديث عن نفسه، وعن سعيه وجده في طلب العلم، وتنقله بين الشيوخ، وانضباطه منذ صغره وعدم انشغاله بما ينشغل به الصبيان من لعب، وتنوع قراءاته وكثرة اطلاعه في الفنون، وفي ذلك يقول: **(وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فَاسْتَمَرَّتْ، وشَمَّرْتُ ولازَمْتُ وعَالَجْتُ السَّهَرْ، ولَمْ أَقْنَعْ بِفَنٍ مِنَ العُلُومِ بَلْ كُنْتُ أَسْمَعُ الفِقْهَ والوَعْظَ**

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد - أبي الفرج ابن الجوزي - تحقيق عبد الحميد الدرويش - دار المقتبس - لبنان - الطبعة الأولى - ٢٠١٤م - صـ ١٢.
(2) السابق - صـ ١٣ ، ١٤.
(3) السابق - صـ ١٦.
(4) السابق - صـ ٢٦.

والحَدِيثَ وأَتْبَعُ الزُّهَّادَ، ثُمَّ قَرَأْتُ اللغَةَ ولَمْ أَتْرُكْ أَحَدًا مِمَنْ يَرْوِى ويَعِظُ، ولا غَرِيبًا يَقْدُمُ إِلا وأَحْضُرُهُ) [1]، ويؤكد الوالد أن من ألزم نفسه وهيئها لأسباب العلم فتح الله له الفتوح، ورزقه الفهم والحفظ، وساق إليه الرزق، ووضع له القبول في القلوب، فيقول في هذا المعنى معددًا نعم الله عليه: **(فَأَحْسَنَ تَدْبِيرِي وتَرْبِيَتِي، وأَجْرَانِي علَى مَا هُوَ الأَصْلَحُ لِي، ودَفَعَ عَنِّي الأَعْدَاءَ والحُسَّادَ ومَنْ يَكِيدُنِي، وهَيَّأَ لِي أَسْبَابَ العِلْمِ، وبَعَثَ إِلَيَّ الكُتُبَ مِنْ حَيْثُ لا أَحْتَسِبُ، ورَزَقَنِي الفَهْمَ وسُرْعَةَ الحِفْظِ والخَطَّ وجَودَةَ التَّصْنِيفِ، ولَمْ يَعْوزنِي شَيْئًا مِنَ الدُّنْيا، بَلْ سَاقَ إِلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ مِقْدَارَ الكِفَايةِ وأَزْيَدُ، ووَضَعَ لِي مِنَ القَبُولِ فِي قُلُوبِ الخَلْقِ فَوْقَ الحَدِّ، وأَوْقَعَ كَلامِي فِي نُفُوسِهِمْ فَلا يَرْتَابُونَ بِصِحَّتِه، وقَدْ أَسْلَمَ علَى يَدَيَّ نَحْوَ مِئَتَينِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ).** [2]

ثم يتطرق الوالد في وصيته لولده إلى أهمية الوقت والانتباه له وعدم التفريط فيه وتضييعه فيما لا ينفع ولا يفيد، وضرب له الأمثلة من محافظة السلف الصالح على الوقت وإدراك قيمته وحرصهم على عدم إهداره، ويرى الوالد أن العمر مهما طال فهو قصير، فيلزم ذلك ترتيب أوقات اليوم وتنظيمها وتقسيمها حتى لا تهدر، واستغلال أكثر وقت ممكن في طلب العلم، وقد قام الوالد بوضع خطة لتنظيم الوقت على مدار اليوم، فيقول لولده في أحد فصول الوصية: **(فَإِذَا أَعَدْتَ دَرْسَكَ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى الأَعْلَى فَصَلِّ الضُّحَى ثَمَانِي رَكعَاتٍ ثُمَّ تَشَاغَلْ بِمُطَالَعَةٍ أَو نَسْخٍ إِلَى وَقْتِ العَصْرِ، ثُمَّ عُدْ إِلَى دَرْسِكَ مِنْ بَعْدِ العَصْرِ إِلَى وَقْتِ المَغْرِبِ وَصَلِّ بَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ بِجُزْأَينِ، فَإِذَا صَلَّيتَ العِشَاءَ فَعُدْ إِلَى دُرُوسِكَ ثُمَّ اضْطَّجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيمَنِ، فَسَبِّحْ ثَلاثًا وثَلاثِينَ واحْمَدْ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبِّر أَرْبَعًا وثَلاثِينَ).** [3]

ومن أهم الوصايا التي أسداها الوالد لولده اختيار الصديق والبعد عن جليس السوء، مؤكدًا لولده أن خير جليس هو الكتاب وأن العلم هو الذي يرفع قدر صاحبه، وأن كثيرا من العلماء لم يكن لهم نسب يرفعهم وما رفعهم إلا العلم، كما يوصي ولده بالقناعة فبها يصون عرضه ويستغني عن الدنيا كلها وضرب له مثلا بنفسه، فقد ترك له والده مالا ولكنه أنفقه في طلب العلم، ولم يكن حريصًا على جمع المال ولم يذل نفسه لأحد.

ثم يذكر الوالد لولده نعم الله عليه بكثرة التأليف والتصنيف في الفنون المختلفة، ويعطي لولده خلاصة تجاربه في طريق العلم فينصحه ألا ينشغل بالتعبد من غير علم، فيقول: **(وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَشَاغَلَ بِالتَّعَبُّدِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ فَإِنَّ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ المُتَزَهِّدِينَ والمُتَصَوِّفَةِ ضَلُّوا طَرِيقَ الهُدَى إِذْ عَمِلُوا بِغَيرِ عِلْمٍ).** [4]

ووجه الوالد ولده لقراءة بعض الكتب الهامة من مؤلفاته التي وضع فيها خلاصة خبراته العلمية فينصحه بقراءة كتاب **(مِنْهَاجِ المُرِيدِينَ، صَيْدِ الخَاطِرِ، جَنَّةِ النَّظَرِ، الحَدَائِقِ، المُغْنِي، وزَادِ المَسِيرِ)** [5] إلى

---

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٢٩.
(2) السابق نفس الصفحة.
(3) السابق - صـ ٣٩.
(4) السابق - صـ ٥٧.
(5) السابق - صـ ٥٩.

جانب ما ألف في الوعظ، ومن النصائح العامة التي أعطاها لولده مداراة الخلق والعزلة، فإنه يجد فيها الراحة من خلطاء السوء، وإن اضطرته الحياة إلى مخالطة الناس يتحلى بالحلم عنهم، ويختم الوالد وصاياه لولده بأن يعطي كل ذي حق حقه من زوجة وولد وقرابة وألا يهمل نفسه، وتأتي ختام الوصية بالاعتراف بما أنعم الله عليهم من شرف النسب الذي ينتهي إلى الصديق أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثاني : أثر الإسلام في تشكيل وصية ابن الجوزي

لقد بدا في وصية ابن الجوزي لولده تأثره الشديد بالإسلام، فلم تخرج وصيته عن الإطار الإسلامي فجائت متضمنة لمفاهيم الدين الإسلامي التي يحرص الوالد على أن يبعثها في نفس ولده ويغرسها بداخله، ويمكن أن نستخلص من هذه الوصية أنها قامت على أربعة محاور رئيسة:

المحور الأول : الدعوة إلى أصول العقيدة الإسلامية

منذ صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر اهتم الآباء والمربون بتوجيه من ينصحون إلى مفاهيم العقيدة الإسلامية السليمة؛ لأن الفهم الصحيح للعقيدة نجاة للعبد في الدنيا والآخرة، ولم يخرج ابن الجوزي في وصيته عن هذا الإطار، فتكررت دعوته لولده في وصيته إلى التوحيد والنهي عن الشرك والعصيان، وكان من أول لوازم العقيدة الصحيحة لفت نظر الولد إلى معرفة الله ﷻ من خلال ما خلق الله من أشياء عظيمة تنطق بالقدرة الإلهية، وتستوجب وجود مدبر وخالق، ولعل هذه النفس الناطقة المحركة للبدن لهي أكبر دليل على وجود الخالق سبحانه، وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي: **(وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي النَّظَرُ فِيهِ: مَعْرِفَةُ الله تَعَالَى بِالدَّلِيلِ، ومَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ رَأَى السَّمَاءَ مَرفُوعَةٌ، والأَرْضَ مَوضُوعَةٌ، وشَاهَدَ الأَبنِيَةَ المُحْكَمَةَ خُصُوصًا فِي جَسَدِ نَفْسِهِ، عَلِمَ أَنَّهُ لا بُدَّ للصَّنْعَةِ مِنْ صَانِعٍ، وللمَبْنَى مِنْ بَانٍ)**. (١)

ثم يذكر الوالد لولده بين ثنايا الوصية أن من لوازم العقيدة الصحيحة بعد الإيمان بالله ﷻ الإيمان بالرسول والتصديق به، وبالقرآن الكريم الذي أعجز الخلق؛ لأن العقيدة الصحيحة إذا اختلت أدت إلى اختلال الروح والجسد، وتحولت الروح الطيبة السوية الفطرية إلى روح شيطانية موسوسة تجعل الإنسان يخرج عن الجادة السليمة التي نشأ بها إلى عوالم أخرى لا يقبلها كل ذي عقل واع ومدرك، وحول هذه المعاني يقول ابن الجوزي لولده: **(ثُمَّ يَتَأَمَّلُ صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَيهِ وأَكْبَرُ الدَّلائِلِ: القُرْآنُ الذِي أَعْجَزَ الخَلْقَ أَن يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه، فَإِذَا ثَبتَ عِنْدَهُ وُجُودُ الخَالِقِ جَلَّ وعَلا، وصِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ ، وَجَبَ تَسْلِيمَ عَنَانِهِ إِلَى الشَّرْعِ، فَمَتَى لَمْ يَفْعَلْ دَلَّ عَلَى خَلَلٍ فِي اعتِقَادِه)**. (٢)

وإذا فهم الإنسان العقيدة السليمة علم أنه مخلوق مكلف، وأن عليه تكاليف يجب عليه القيام بها، فيقول: **(وَأَعْمِلْ فِكْرَكَ، واخْلُ بِنَفْسِكَ، تَعْلَمُ بِالدَّلِيلِ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ مُكَلَّفٌ، وأَنَّ عَلَيْكَ فَرَائِضَ أَنْتَ مُطَالَبٌ بِهَا)** (٣)ويكرر

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ١٨ ، ١٩.
(2) السابق - صـ ٢٠.
(3) السابق - صـ ١٤.

نفس المعنى في موضع آخر، حيث يؤكد أن من لوازم العقيدة السليمة معرفة العبد ما عليه من واجبات تجاه ربه ومولاه، ويؤديها دون تقصير، فيعرف أن عليه فرائض من طهارة، وصلاة، وزكاة، وحج فيقوم بفعلها والمحافظة عليها، وفي هذا المعنى يقول: **(ثُمَّ يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ عَلَيهِ مِنَ الوُضُوءِ والصَّلاةِ والزَّكَاةِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، والحَجِّ وغَيرِ ذَلكَ مِنَ الوَاجِبَاتِ)**. (١)

ولا شك أن الفهم الصحيح للعقيدة سيؤثر في سلوك العبد كله، وسيجعله يراعي الله في كل عمل وكل كلمة ينطق بها؛ لعلمه أن الله مطلع عليه، وأنه مراقب بملكين يحصيان عليه كل أفعاله وأقواله، فيقول: **(وأَنَّ المَلَكَينِ يُحْصِيَانِ أَلفَاظَكَ ونَظَرَاتِكَ)**. (٢)

المحور الثاني : الاهتمام بأداء العبادات والمحافظة عليها

لم تخل وصية ابن الجوزي من توجيه ولده إلى المضامين التعبدية، فالعبادة الصادقة ترجمة الإيمان الصادق، ومن هنا وجدنا ابن الجوزي يرسم لولده معالم العبادة الصحية منذ يستيقظ من نومه إلى أن يأوي إلى فراشه مرة أخرى، فيقول: **(وَإِذَا فَتَّحْتَ عَيْنَيْكَ مِنَ النَّوْمِ فَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا فَقُمْ إِلَى الوُضُوءِ وَصَلِّ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ مَا أَمْكَنَ واسْتَفْتِحْ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَينِ ثُمَّ بَعْدَهُمَا رَكْعَتَينِ بِجُزْأَينِ مِنَ القُرْآنِ)**.(٣)

ثم يحث ولده على المحافظة على الأذكار التي يحمي بها الله العبد طوال اليوم فيقول: **(وَقُلْ عِنْدَ انْتِبَاهِكَ مِنَ النَّومِ: "الحَمْدُ للهِ الذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وإِليهِ النُّشُورِ، الحَمْدُ للهِ الذي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لرَؤُوفٌ رَحِيمٌ")** (٤)، وكذلك الأذكار التي تقال عند الذهاب إلى المسجد فيقول: **(واخْرُجْ إِلَى المَسْجِدِ خَاشِعًا وقُلْ فِي طَرِيقِكَ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيكَ وبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِيَاءً ولا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وابتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ وأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ")**(٥)، ويعلّمه الأذكار التي تقال بعد الفراغ من الصلاة فيقول: **(فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ الصَّلاةِ فَقُلْ "لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ يُحْيِي ويُمِيتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير" عَشْرَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ سَبِّحْ عَشْرًا واحْمَدْ عَشْرًا وَكَبِّرْ عَشْرًا واقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، واسْأَلِ اللهَ سُبْحَانَهُ قَبُولَ الصَّلاةِ)** (٦)، ويكرر التذكير بالذكر على مدار اليوم كله منذ استيقظ حتى يأوي إلى فراشه للنوم فيقول: **(ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، فَسَبِّحْ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، واحْمَدْ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبِّرْ أَرْبَعًا وثَلاثِينَ وقُلْ: اللَّهُمَ قِنِي عذَابَكَ يومَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ)**. (٧)

---

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٢٠.
(2) السابق - صـ ١٤.
(3) السابق – صـ ٤٠.
(4) السابق - صـ ٣٦.
(5) السابق نفس الصفحة.
(6)السابق - صـ ٣٨.
(7) السابق - صـ ٤٠.

ولم يكتف الوالد بنصح ولده بالمحافظة على الأذكار المتواترة فقط بل ينصحه بكثرة الذكر عموما فيقول: **(فَإِنْ صَحَّ لَكَ فَاجْلِسْ ذَاكِرًا اللهَ تَعَالَى إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَتَرْتَفِعَ)**. [1]

ولعل تكرار وصايا الوالد لولده بالمحافظة على الأذكار راجع إلى علم الوالد ما للأذكار من فوائد جمة تعود على العبد لقول الله تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾.[2]

ويحث الوالد ولده على المحافظة على الطهارة، والسنن الراتبة، وصلاة الجماعة فإن في ذلك الخير كله فيقول ابن الجوزي رحمه الله: **(ثُمَّ قُمْ إِلَى الطَّهَارَةِ وارْكَعْ سُنَّةَ الفَجْرِ)**. [3]

ويحثه على المحافظة على سنة الضحي فيقول: **(فَإِذَا أَعَدْتَ دَرْسَكَ إِلَى وَقْتِ الضَّحَى الأَعْلَى فَصَلِّ الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ)**. [4]

المحور الثالث : التحلي بأخلاق الإسلام

الدعوة إلى مكارم الأخلاق هي وصية الأنبياء، ودأب الصالحين في وصاياهم للناس عامة، وبقدر حسن أخلاق العبد تكون درجته في الجنة يوم القيامة كما أخبر النبي ﷺ، ولما كانت الأخلاق من أهم ما ينادي به الإسلام فإن ابن الجوزي قد نبه ولده في وصيته إلى جملة من الأخلاق الفاضلة مرغبًا إياه فيها ومحذرًا من عدم التحلي بها، فمن المعاني الشريفة التي أوصى بها ابن الجوزي ولده القناعة، وهي الرضا بالمقسوم، فهي كنز لا يفنى، وبالقناعة يصون الإنسان عرضه من هوان الذل؛ لأنها طريق العز في الدنيا، وقد استشهد ابن الجوزي بحال السلف وكيف أنهم عزوا حينما قنعوا بما قسم لهم وفي هذا يقول: **(وَاجْتَهِدْ يَا بُنَيَّ فِي صِيانَةِ عِرْضِكَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِطَلَبِ الدُّنْيا والذُّلِ لأَهْلِهَا، واقْنَعْ تُعَزُّ، فَقَدْ قِيْلَ: مَنْ قَنَعَ بِالخُبْزِ والبَقْلِ لَمْ يَسْتَعْبِدْهُ أَحَدٌ، ومَرَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى البَصْرَةِ فَقَالَ: مَنْ سَيِّدُ هَذِهِ البَلْدَةِ؟ قِيْلَ لَهُ: الحَسَنُ البَصْرِيُّ، قَالَ: وبِمَ سَادَهُمْ؟ قَالُوا: لأَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنْ دُنْيَاهُمْ وافْتَقَرُوا إِلَى عِلْمِهِ)** [5]، ويكرر في موضع آخر من الرسالة هذا المعنى فيقول لولده: **(وَلا تَقْنَعْ بِالدُّونِ)**. [6]

ثم حث الوالد ولده على العزلة والتحذير من الخلطة السيئة، فما عرف العبد لذة ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة، فبها ينال سلامة بدنه، ودينه عند الله وعند الخلق، فهي من حميد الخصال، وطيب الخلال بشرط ألا تفوت هذه العزلة واجبًا ولا تصد عن حق، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: **(وَعَلَيْكَ بِالعُزْلَةِ فَهِيَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ)** [7]، فالعزلة عن الشر والفتن محمودة خاصة لمن يسلك طريق العلم، لذا نجده يكررها لولده في

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٣٨.
(2) سورة الأحزاب الآية ٣٥.
(3) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٣٧.
(4) السابق - صـ ٣٩.
(5) السابق - صـ ٤٦.
(6) السابق - صـ ٤٥.
(7) السابق - صـ ٤١.

موضع آخر فيقول: **(وَكُنْ حَسَنَ المُدَارَاةِ للخَلْقِ مَعَ شِدَّةِ الاعْتِزَالِ عَنْهُم، فَإِنَّ العُزْلَةَ رَاحَةٌ مِنْ خُلَطَاءِ السُّوْءِ وَمُبْقِيَةٌ للوَقَارِ)**. (١)

ومن الأخلاق الفاضلة التي أوصى بها ابن الجوزي ولده (الحلم) وهو: ضبط النفس عند الغضب، ولما كان ابن الجوزي حريصًا على توجيه ولده إلى ما يديم الألفة بينه وبين الناس، أوصاه بأعظم مفتاح يحقق لـه ذلك وهو الحلم عن الناس، وفي هذه المعاني ينصح ولده قائلا: **(فَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَخَالِطْهُمْ بِالحِلْمِ عَنْهُم، فَإِنَّكَ إِنْ كَشَفْتَ عَنْ أَخْلاقِهِمْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مُدَارَاتِهِم)**. (٢)

ومن أعظم الأخلاق التي أوصى بها ابن الجوزي ولده خلق الأمانة، وأداء الحقوق إلى أهلها، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتعظم الأمانة كلما قويت الصلة، فكلما زادت القرابة كلما زادت الحقوق، فأداء حقوق الأهل، والزوجة، والولد، والقرابة هي أعظم منازل الأمانة، وأهم الحقوق التي يجب الوفاء بها، وقد أشار ابن الجوزي في وصيته لولده إلى هذا المعنى البديع، حيث يقول: **(وَأَدِّ كُلَّ ذِي حَقٍ حَقَّهُ مِنْ زَوْجَةٍ وَوَلَدٍ وقَرَابَةٍ)**. (٣)

المحور الرابع : الحث على طلب العلم

الأساس الأكبر الذي وضع ابن الجوزي وصيته عليه هو ما أشار إليه في مطلعها حين بين مراده من الوصية، وهو حث ولده على طلب العلم، وخوض غماره، والسعي بجد في تحصيله، لما رأى منه من توان عن الجد، حيث يقول: **(ثُمَّ رَأَيْتُ مِنْهُ نَوْعَ تَوَانٍ عَنِ الجِدِّ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَكَتَبْتُ إِلَيهِ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَحُثُّهُ بِهَا عَلَى طَلَبِ العِلْمِ وأُحَرِّكُهُ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِي فِي كَسْبِ العِلْمِ)** (٤)، ومن أجل ذلك نجد أن حديث ابن الجوزي في المجال العلمي كان طويلا ليحقق المقصد، والمراد، والهدف الأسمى من الوصية، وقد تضمنت وصيته فوائد جمة ينتفع بها طالب العلم في كل وقت، فقد حث ابن الجوزي ولده على إعمال الفكر والعقل، فبين أن العقل منحة الله للبشر ميزهم به على سائر المخلوقات؛ ليعملوا بمقتضاه لا ليعطلوه، وفي هذا المعنى يقول: **(اعْلَمْ يَا بُنَيَّ وَفَّقَكَ اللهُ للصَّوابِ: أَنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزِ الآدَمِي بِالعَقْلِ إلا لِيعْمَلَ بِمقتضَاهُ فاسْتَحضِرْ عَقْلَكَ وأَعْمِلْ فِكْرَكَ)**. (٥)

ثم أخذ ابن الجوزي يسوق لولده ما يستثير به همته عن طريق بيان فضل العلم، وأنه طريق المجد، وسبيل الرفعة، وأن أهل العلم هم صفوة الخلق بعد الرسل فهم ورثة الأنبياء، وأن العلم يرفع صاحبه حتى ولو كان وضيع النسب، ولا يحوجه لأحد، بل يجعل كل من سواه محتاجًا إليه، وفي ذلك يقول ابن الجوزي:

---

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٦٠.
(2) السابق نفس الصفحة .
(3) السابق - صـ ٦١.
(4) السابق - صـ ١٢.
(5) السابق - صـ ١٤.

(واعْلَمْ أَنّ العِلْمَ يَرْفَعُ الأَرَاذِلَ فَقَدْ كَانَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِن العُلَمَاءِ لا نَسبَ لهُم يُذْكَرُ، ولا صُورَةٌ تُسْتَحْسَنُ) [1] ويسوق له نموذجًا ممن رفعهم العلم ، وجعل الخلفاء مع علو قدرهم في منزلة أدنى منهم، فيقول: **(وكَانَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ أَسْودَ اللَّونِ مُسْتَوحِشَ الخِلْقَةِ، وجَاءَ إليه سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ – وهُو خَلِيفَةٌ، ومَعَهُ ولَدَاهُ – فَجَلَسُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ المَنَاسِكِ، فَحَدَّثَهُمْ وهُو مُعْرِضٌ عَنْهُمْ بِوَجهِهِ، فَقَالَ الخَلِيفَةُ لِولَدَيهِ: قُومَا ولا تَنِيَا ولا تَكَاسَلا فِي طَلَبِ العِلْمِ فَمَا أَنْسَى ذُلَّنَا بَين يدَي هَذَا العَبدِ الأَسْوَدِ)**.[2]

ومن ثم كثرت وصايا ابن الجوزي لولده عن العلم وطلبه، والشغف به والبحث عنه، والإنفاق عليه، فقد ذكر له أنه أنفق ما تركه له أبوه من أموال وكانت ألوفًا على طلب العلم، ولم يبق له شيء من هذا المال؛ لذا نجده يحث ولده على الاهتمام بالعلم، وكثرة المطالعة والقراءة، والانقطاع للعلم، حتى يصير الكتاب جليسًا له فهو خير جليس، وفي ذلك يقول: **(وَلْيَكُنْ جُلَسَاؤُكَ الكُتُبُ والنَّظَرُ فِي سِيَرِ السَّلَفِ)**. [3]

ولما كان الوالد عالمًا جليلا، ومؤلفًا من أشهر كتَّاب عصره، فقد أعطى ولده خلاصة علمه، فيرى أن من أفضل طرق تحصيل العلم الحفظ، فيقول: **(فَعَلَيْكَ بِالحِفْظِ وإِنَّمَا الحِفْظُ رَأْسُ المَالِ والتَّصَرُّفُ رِبْحٌ)**. [4]

واستطاع الوالد بخبرته أن يوجه ولده إلى قراءة كتب معينة من تأليفه يرى فيها الوالد أنها مؤنة طالب العلم من التصانيف، وأنها الأقدر على خلق عالم، فيقول مخاطبًا ولده: **(وعَلَيكَ بِكِتَابِ "مِنْهَاجِ المُرِيدِين" فَإِنَّهُ يُعَلِّمُكَ السُّلوكَ، فاجْعَلْهُ جَلِيسُكَ ومُعَلِّمُكَ، وتَلَمَّحْ كِتَابَ "صَيدِ الخَاطِرِ" فَإِنَّكَ تَقَعُ بِوَاقِعَاتٍ تُصْلِحُ لَكَ أَمْرَ دِينِكَ ودُنْيَاكَ، وتَحَفَّظْ كِتَابَ "جَنَّةِ النَّظَرِ"، فَإِنَّهُ يَكْفِي فِي تَلقِيحِ فَهمِكَ للفِقْهِ، ومَتَى تَشَاغَلْتَ بِكِتَابِ "الحَدَائِقِ" أَطْلَعَكَ عَلَى جُمْهُورِ الحَدِيثِ، وإِذَا التَفتَّ إِلَى كِتَابِ "الكَشْفِ" أَبَانَ لَكَ مَسْتُورَ مَا فِي الصَّحِيحَينِ مِنَ الحَدِيثِ، ولا تَتَشَاغَلَنَّ بِكُتُبِ التَّفْسِيرِ التِي صَنَّفَتْهَا الأَعَاجِمُ ومَا تَركَ "المُغْنِي" و"زَادُ المَسِيرِ" لكَ حَاجَةٌ فِي شَيءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ، وأَمَّا مَا جَمَعْتُهُ لكَ مِن كُتُبِ الوَعظِ فَلا حَاجَةَ لكَ بعدَهَا إِلى زِيَادَةٍ أَصْلا)** [5]، ويلفت الوالد ولده إلى نصيحة في غاية الأهمية، وهي أن العلم لا يراد لنفسه، إنما يراد للعمل بمقتضاه، فالعمل هو ثمرة العلم وزكاته فيحذره من ذلك قائلاً: **(وإِيَّاكَ أَنْ تَقِفَ مَعَ صُورةِ العِلْمِ دُونَ العَمَلِ بِهِ، فَإِنَّ الدَّاخِلِينَ عَلَى الأُمَرَاءِ والمُقْبِلِينَ علَى أَهْلِ الدُّنْيَا قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ العَمَلِ بالعِلمِ فَمُنِعُوا البَرَكَةَ والنَّفْعَ بِهِ)**. [6]

ويؤكد الوالد أن انتفاع الناس بعلم العالم يكون على قدر انتفاعه هو بالعلم، فيقول: **(وعَلَى قَدْرِ انْتِفَاعِكَ بالعِلْمِ يَنْتَفِعُ السَّامِعُونَ، ومَتَى لَمْ يَعْمَلْ الوَاعِظُ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَن القُلُوبِ)**. [7]

---

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق/ عبد الحميد الدرويش - صـ ٤٥.
(2) السابق نفس الصفحة.
(3) السابق - صـ ٤٣.
(4) السابق - صـ ٥٥.
(5) السابق - صـ ٥٩.
(6) السابق - صـ ٥٦.
(7) السابق - صـ ٥٧.

حتى العبادة، وهي أسمى مطلوب يحذر الوالد ولده من التعبد بغير علم، فقد ضل كثير من الناس الطريق القويم؛ لأنهم تعبدوا بغير علم، وفي هذا يقول: **(وإِيَّاكَ أَنْ تَتَشَاغَلَ بِالتَّعَبُّدِ مِنْ غَيرِ عِلمٍ فإِنَّ خَلْقاً كَثِيراً مِنَ المُتَزَهِّدِينَ والمُتَصوِّفَةِ ضَلُّوا طَرِيقَ الهُدَى إِذْ عَمِلُوا بِغَيرِ عِلْمٍ)**. (١)

المبحث الثاني

الدراسة الأدبية والفنية لوصية ابن الجوزي

تعد الدراسة الفنية الشق الثاني لأي عمل أدبي، وتعنى الدراسة الفنية بالبحث عن الأدوات اللغوية، والآليات الفنية والتعبيرية، التي استخدمها الأديب في التعبير عن ذاته وتصوير أفكاره ومشاعره، وتعتبر الوسيلة التي يتم بها (تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية، وقيمه التعبيرية، وتعيين مكانه في خط سير الأدب، وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته، وفى العالم الأدبي كله، وقياس مدى تأثره بالمحيط، وتأثيره فيه، وتصوير سمات صاحبه، وخصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك). (٢)

فمن خلال الدراسة الفنية يتمكن الباحث من التعرف على الوسائل الفنية المختلفة التي استخدمها الأديب في عرض موضوعاته وأفكاره ومعانيه وألفاظه وعباراته وصوره وأخيلته، كما يستطيع من خلالها وضع يده على أهم العناصر الجمالية والأدوات الفنية التي زين بها الأديب نصه الأدبي ووشى بها كلامه، ومن خلال الدراسة الفنية أيضًا يُعْرف الفرق بين الكلام الأدبي والكلام العادي.

ومن خلال دراسة كتاب لفتة الولد إلى نصيحة الولد تبين أن ابن الجوزي استخدم كثير من الأساليب الأدبية التي نضع أيدينا عليها في الصفحات القادمة.

أولا: الألفاظ

تمثل دراسة الألفاظ جانبًا مهمًا من جوانب دراسة النص الأدبي، وذلك راجع إلى أهميتهما في العمل الأدبي؛ لأن الأداء اللفظي هو دليل المعنى وآلة البيان، ولولاه ما وقفنا على ما يجول في نفس الأديب من معان وأخيلة وعواطف وصور أدبية، فبالألفاظ يستطيع الكاتب أن يكشف ما في عالمه الفسيح ويستخرج ما في مكنون نفسه، ولما كانت الألفاظ أحد المكونات المهمة في النص الأدبي فقد اهتم بها الأدباء والنقاد قديمًا وحديثًا اهتمامًا بالغًا وأولوها عناية فائقة، لما لها من دور مهم في العمل الأدبي، ولقد اهتم ابن الجوزي في وصيته بانتقاء الألفاظ، فجاءت ألفاظه قوية بعيدة عن الصعوبة والتعقيد، وكان أهم ما يميزها منسبتها لمضمون الوصية، فنجده يكثر من الألفاظ الإسلامية مثل: **(الحَمْدُ للهِ، سَأَلْتُ اللهَ، الفَضَائِل، التَّعَبُّد، العَبْد، القُرآن، الرَّسُول، الطَّهَارَة)** وغيرها من الألفاظ التي تناسب تأثره بالإسلام في وصيته، وكذلك مما يؤكد انتقاء

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق/ عبد الحميد الدرويش - صـ ٥٧.
(2) النقد الأدبي أصوله ومناهجه - سيد قطب - ط ٨ - دار الشروق ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م - صـ ٧.

ابن الجوزي لألفاظ الوصية نجده في حديثه عن العلم ينتقي ما يناسبه من ألفاظ مثل: **(العِلْم، صُنِّفَت، مُجَلَّدَات، التَّأليف، التَّصْنِيف، الفِقْه)**.[1]

ثانياً: السجع

السجع هو تماثل الحروف في مقاطع الفصول، ويكون السجع محمودًا إذا كان بعيدًا عن التكلف والتصنع، وقد استخدمه ابن الجوزي في وصيته دون تكلف فزادها رونقًا وبهاء، ومن ذلك قوله في مطلعها: **(الحَمْدُ للهِ الذي أَنْشَأَ الأَبَ الأَكْبَرَ مِنْ تُرَاب، وأَخْرَجَ ذُرِّيتَهُ مِنَ التَّرَائِبِ والأَصْلاب، وعَضَدَ العَشَائِرَ بالقَرَابَةِ والأَنْسَاب، وأَنْعَمَ عَلَيَّ بالعِلْمِ وعِرْفَانِ الصَّوَاب، وأَحْسَنَ تَرْبِيتِي فِي الصِّبَى وحَفِظَنِي فِي الشَّبَاب، ورزَقَنِي ذُرِّيَةً أَرْجُو بِوُجُودِهِم وُفُورَ الثَّوَاب)**[2] ، فقد جاءت فواصل الجمل كلها على سجع واحد دون تكلف فزادها سهولة في النطق وجمالا في الأسلوب، ومن نماذج ذلك أيضا قوله: **(وَمِقْدَارُ اللَّبْثِ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ، والحَبْسُ فِي القَبْرِ طَوِيلٌ، والعَذَابُ عَلَى مُوَافَقَةِ الهَوَى وَبِيلٌ)**. [3]

ثالثا : الاستعارة والكناية

ومعناها الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، والاستعارة تعين على زيادة وضوح المعنى، وجلاء الفكرة، وهي في الوصية تزيدها قوة وأثرًا، لذا وجدنا ابن الجوزي يكرر من استخدامه في مواضع متفرقة من وصيته، ومن ذلك قوله: **(والكَسَلُ عَن الفَضَائِلِ بِئْسَ الرَّفِيقُ)** [4]، ففي هذا تشبيه للكسل بالرفيق السيء بجامع المضرة، وقوة التأثير في الرفيق، واستخدم التشبيه في قوله: **(والتَّذْكِيرُ حَلْوَاؤُهَا وأَعَمُّهَا نَفْعًا)**[5]، ففي ذلك تشبيه للتذكير بأثر الحلواء.

رابعا : التضمين والاقتباس من القرآن الكريم

التضمين والاقتباس من الخصائص الأسلوبية التي تميزت بها وصايا الآباء للأبناء في العصور السابقة، فالتضمين هو الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية التي تتناسب مع الموضوع الذي يناقشه الوالد في رسالته، والتي يدلل بها على الفكرة التي يريدها، مما يزيد تأكيدها وتقريرها في نفس متلقيها، فيأتي الكاتب بكلمات أو آيات بنصها دون التغيير فيها، وقد أفاد ابن الجوزي من هذا الأسلوب في وصيته حرصًا على إثارة نفس ولده وتهيئتها للقبول والاستجابة، فتعددت استشهاداته بآيات القرآن الكريم بما تيسر له مما يوافق أو يؤكد آراءه أو موضوعه، ومن الآيات التي استشهد بها قول الله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[6]، وكذلك استشهد في

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ١١.
(2) السابق نفس الصفحة.
(3) السابق ١٤.
(4) السابق - صـ ١٤.
(5) السابق - صـ ٢١.
(6) سورة إبراهيم : الآيات ٤٠ ، ٤١.

حديثه عن العلم بقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ﴾[1] ، واستشهد في حديثه عن التقوى بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] ، وغير ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي تناسب الغرض الذي يتكلم فيه.

أما الاقتباس فمعناه أن يأخذ الكاتب نصًا أو جزءًا من آيات قرآنية أو ألفاظ من القرآن ولكن يستعملها بأسلوبه لا على أنها آية قرآنية، ومن نماذج ذلك قول ابن الجوزي: **(وأَكْبَرُ الدَّلائِلِ القُرْآنُ ، الذِي أعْجَزَ الخَلْقَ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه)** [3] ففيها اقتباس من قول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4] ومنه نماذج الاقتباس من القرآن أيضا قوله **(فَإِذَا تَفَكَّرَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ عَلِمَ أَنَّه خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَة)** [5] وفي ذلك اقتباس من قول الله عز وجل: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [6]

خامساً: الاستشهاد بالأحاديث النبوية

من الظواهر الأسلوبية التي ظهرت في وصية ابن الجوزي لولده التضمين من الحديث النبوي الشريف ومعناه أن يضمن الكاتب كلامه نصًا نبويًا على أنه حديث نبوي من كلام المصطفى ﷺ وقد راعى ابن الجوزي وقد كرر ذلك ابن الجوزي في مواضع كثيرة من كتابه من ذلك استشهاده بقول النبي ﷺ **:(كُلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَهُ)**[7] وكذلك حديث ابن عباس **(احْفَظْ اللهَ يحْفَظْكَ)**[8] ، وغير ذلك من الأحاديث النبوية.

سادساً : حسن الابتداء وروعة الاستهلال:

إن براعة الاستهلال تجعل بين المتكلم والمستمع جسرا من المودة والألفة، والإنصات من أول وهلة، وقد اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، بحيث توجز المعاني التي يراد إيضاحها فيما يستقبل من الكلام، فتشد السامع شدًا، وتوقظ قلبه وجوارحه.

والفصاحة والبيان في الاستهلال لها مقومات إذا توافرت في الوصية ساعدت على التأثير والاستجابة، ومن هذه المقومات التي توافرت في وصية ابن الجوزي، ابتداؤه بالحمد والثناء على الله اقتداء بالكتاب والسنة، ثم استفتاحه بألفاظ مخصوصة تلميحًا للمقصود من الوصية وهي نصح الولد، حيث يقول: **(الحَمْدُ للهِ الذِي أَنْشَأَ الأَبَ الأَكْبَرَ مِنْ تُرَابٍ، وأَخْرَجَ ذُرِّيتَهُ مِنَ التَرَائِبِ والأَصْلابِ، وعَضدَ العَشَائرَ بالقَرابَةِ والأَنْسَابِ،**

---

(1) سورة البقرة : الآية ٢٨٢.
(2) سورة يوسف : الآية ٩٠.
(3) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٢٠.
(4) سورة الإسراء : الآية ٨٨.
(5) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد –أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٣٣.
(6) سورة المعارج : الآية ٤.
(7) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم .
(8) جزء من حديث رواه أحمد وأبو يعلى.

وأَنْعَمَ عَلَيَّ بالعلمِ وعرْفَانِ الصَّوابِ، وأَحْسَنَ تَربيتِي فِي الصِّبَا وحَفِظَنِي فِي الشَّبابِ، ورزَقَنِي ذُرِّيَّةً أَرْجُو بِوجُوهِهم وُفُورَ الثَّواب). (١)

ومن ذلك أيضاً انتقاؤه للعبارات الدالة على نعمة الأبوة والبنوة وحقوقها، حيث يقول في مطلعها: **(اعْلَمْ يَا بُنَيَّ وَفَّقَكَ اللهُ)**، ومن المعلوم أن التلطف في النداء مستجلب ميل القلوب فهو نداء إشفاق وعطف.

سابعاً: حسن الختام:

العبرة بالخواتيم، إذ أن ما يعلق في الأذهان من النصح والكلام، والمواعظ والوصايا، هو آخر ما يطرق الأسماع، فإذا كان آخر ما ارتسم في ذهن المستمع والقارئ بليغًا حسنًا، يلقى قبولا، فالعبرة بالخواتيم، والملاحظ في خاتمة وصية ابن الجوزي لولده تذكيره لشرف نسبه، وأنه من بيت علم وفضل من ذرية أبي بكر الصديق؛ ليشحذ همته للتشبه بالأصل، ويحيي في نفسه ما اندرس من تشاغل قرابته عن العلم، وانصرافه عنه، فيقول في ختام وصيته: **(يَا بُنَيَّ: واعْلَمْ أَنَّنَا مِنْ أَبنَاءِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ رضْي اللهُ عَنْهُ)** (٢)، وفي هذا أبلغ التحفيز، وأعظم الترغيب، كما أن دعاءه لولده بأن ينتفع بهذه الوصية، وأن يوفقه الله لحسن العلم والعمل، إلى جانب بيانه أنه قد استنفذ الجهد في تحبيرها، مع الاعتماد على الله في ذلك أولاً وآخراً، كل ذلك يعد من حسن الختام للوصية.

ثامناً: السهولة والبعد عن التكلف:

لما كان الهدف من الوصية جلب سمع الموصى إليه، والتأثير فيه، اعتمد الكاتب على السهولة والبعد عن التكلف منتهجًا في ذلك نهج السلف الصالح الذين كانوا يكتفون في المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ، أو زخرفة نطق، لذا وجدنا ابن الجوزي في وصيته ينأى بنفسه عن التكلف والتصنع في العبارة، رغم أنه استجمع الفصاحة والبيان، من أجل ذلك جاءت عباراته سهلة سلسلة، دون تقعر أو تشدق، أو استعمال الوحشي من الألفاظ وغريب الكلمات.

تاسعا : استعمال الأساليب الدعوية

حينما تكون الوصية ممن لهم قدم راسخة في العلم أمكن الجمع بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، ومن هنا وجدنا ابن الجوزي يستخدم أسلوب التعميم في الوصية؛ لأن النصح بالتعريض دون التصريح يعتبر من آداب الموعظة، ومن عوامل قبولها، وذلك لأن النفس البشرية مجبولة على الكبر، والاعتداد بالذات، فهي لا تحب من يواجهها بعيوبها، لما في ذلك من الإهانة والتحقير؛ لذا وجدناه في أسلوبه يكرر **(وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي النَّظَرُ فِيهِ، ويَنْبَغِي مَعْرِفَةُ مَا يُقِيمُ بِهِ لسَانه، ومَن تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا قَبلَ أَنْ يُوجَد، وغير ذلك).**

ونرى ابن الجوزي في مواضع أخرى يستخدم بعض صيغ الإيجاب، والأمر، والإلزام، والنهي؛ لأنها وصية من والد لولده، ومن هذه الصيغ على سبيل المثال: **(وانْظُر يَا بُنَيَّ، واعْلَمْ يَا بُنَي، وانتَبِه يَا بُنَي،**

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ١١.
(2) السابق - صـ ٦٣.

فالزِم نفْسَك يَا بُني، وقُل عندَ انتباهك، ثُم قُم إلى، ثُمَّ تشَاغَل بمَا يمكن، وعليكَ بالعُزْلَة، واجتَهِد يـا بنَـي، وينبغِي أَن تَسْمُو همَّتك، وإيَّاك أَن تَقِفَ، وعليكَ بكَذَا، وراعِ عواقِبَ الأمُور) وغيرها.

وقد استخدم ابن الجوزي في وصيته بعض الأساليب الدعوية التي تناسب موضوع الوصية وما تحمله من النصح والإرشاد لولده، ومن ذلك ما يلي:

- **أسلوب إظهار الرأفة والرحمة**

ويتمثل ذلك في تكرار أسلوب النداء الذي يحمل الشفقة والرحمة بولده، وهو أحد أساليب المنهج العاطفي الذي يرتكز على القلب ويحرك الشعور والوجدان، فنجده يستخدم كلمات طيبة ومؤثرة تظهر رحمة الأب بولده، وتبين العلاقة الحانية التي تربطه بولده، وتؤكد ما يريده الوالد لولده من الخير والحرص على المصلحة، ومن ذلك قوله في أكثر من موضع: **(يَا بُنَيَّ)**، ويعد هذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة في قبول النصيحة، وله تأثير في حدوث الاقتناع، والتجاوب النفسي بين طرفي الوصية، كما أنه يؤدي إلى تحريك وجدان المدعو، والتأثير على قلبه.

- **أسلوب التدرج في الوصية، بالبدء بالأهم فالمهم**:

يعد أسلوب التدرج من الأساليب الدعوية الحكيمة ومعناه (الانتقال من مرحلة إلى أخرى متقدمة للوصول إلى الغاية المنشودة)؛ لذا اهتم به العلماء والناصحون في وصاياهم، فاستخدموا أسلوب التدرج من الأدنى إلى الأعلى؛ ليسهل على السامع أو المتلقي فهم المراد، واستيعاب المحتوى، ولا سيما إذا كان المحتوى مركبًا، أو معقدًا، أو يلقى على من لا يفهمه جملة واحدة، وهذا من الأساليب الناجحة في إفهام المستمع.

وهذا ما نلحظه في وصية ابن الجوزي لولده، حيث تدرج في الموعظة والوصية حتى يكون على الطريق المستقيم الذي يرضاه الله، فتدرج معه في هذه الوصية فجعلها مقسمة على أمور منها: استحضار العقل في الغاية من الخلق، ثم حثه على طلب الفضائل، وطلب العلم والحث على الاجتهاد في الطاعة، وإعطاء المثل من نفسه.

ثم تدرج معه إلى الحث في تعجيل التوبة، واستدراك ما فات واغتنام العمر، ثم أوصاه بالعزلة والزهد والتقوى فإنها خير زاد، ثم ذكر له بعض الكتب المفيدة؛ ليغتنم الوقت في النظر فيها، وختم الوصية بحفظ حقوق الناس، ومن مقتضيات هذا التدرج الرفق بالمتعلم، وعدم أخذه بالشدة حتى يحصل له الفهم والتحصيل.

ومن هذا يتبين حرص ابن الجوزي على ولده الوحيد حيث تدرج معه، وقسم له النصيحة إلى أجزاء لكي يحسن فهمها وتطبيقها.

- **أسلوبا الترغيب والترهيب**

الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترهيب هو ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويعد أسلوبا الترغيب والترهيب أحد الأساليب المهمة في إثارة الدافع لقبول الحق الذي يعتمد على تخويف الناس وترهيبهم، أو على

ترغيبهم، ولا بد من استخدام الترغيب والترهيب معًا؛ وذلك لأن استخدام أحدهما وحده قد يؤدي إلى ردود فعل عكسية، فاستخدام الترهيب وحده يؤدي إلى طغيان الرهبة على النفس فيؤدي إلى اليأس والقنوط ، كما أن استخدام الترغيب وحده قد يؤدي إلى استيلاء الأمل في رحمة الله على النفس مما يوكلها إلى الدعة والتهاون والغفلة، والترغيب يكون في الصفات الحميدة وضرورة التمسك بها والثمرة المرجوة منها، والترهيب يكون للتنفير من خصال ذميمة أو أخلاق سيئة ، ونماذج الرغيب والترهيب كثيرة في الوصية منها: تحذيره من عدم الانشغال بالعلم في قوله: **(وإِيَّاكَ أَنْ تَنْشَغِلَ بالتَّعَبُدِ منْ غيرِ عِلْمٍ)**. [1]

(1) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق عبد الحميد الدرويش - صـ ٥٧.

الخاتمة

يعد كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) من أعظم ما كتب في وصايا الآباء للأبناء؛ لاشتمالها على كثير من الوصايا الشرعية التي لها أهمية بالغة في توجيه الأبناء إلى الخير، وتحذيرهم من الشر وبيان عاقبته، فقد اشتملت الوصية على محاور عديدة، منها الحث على التقوى والاستقامة، والتحلي بكريم الخصال وطيب الفعال.

واتسمت وصية ابن الجوزي لولده بخصائص عظيمة، فهي تجمع بين الأصالة في مصادرها، والتنوع في أساليبها ومضامينها، والقوة في بيانها وتراكيبها، وقد بلغت عناية ابن الجوزي بوصيته لولده الغاية القصوى، حيث جمع فيها مواعظ علمية وأخلاقية وإيمانية، حتى غدت وصيته علمًا مبرزًا وقدوة يقتدى بها.

وكان من أهم سمات الوصية، التنويع في النصح لولده حتى شملت العقيدة الصافية، والعبادة الصحيحة، والأخلاق الحميدة، والحث على طلب العلم الشرعي الذي به قوام الدنيا والدين.

وقد ظهرت قوة ابن الجوزي في هذه الوصية في براعة الاستهلال، وحسن الختام، وسهولة الألفاظ، وتراكيب الكلام.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله ـ تعالى ـ وهو وحده ولي التوفيق .

فهرس المراجع

١. آراء ابن الجوزي التربوية "دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة" – د/ ليلى عبد الرشيد عطار – منشورات أمانة للنشر – الولايات المتحدة الأمريكية – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢. الأدب الوجيز للولد الصغير – عبد الله ابن المقفع – تعريب وتحقيق/ محمد غفراني الخراساني – مطبعة عالم الكتب القاهرة – ١٩٢٢م.

٣. النقد الأدبي أصوله ومناهجه – سيد قطب – ط ٨ – دار الشروق – ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م.

٤. تحفة المودود بأحكام المولود – الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، ت/ محمد على أبو العباس ، مكتبة القرآن للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن العماد أبو الفلاح الحنبلي – المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – بدون تاريخ.

٦. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة – بدون تاريخ.

٧. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبي الفرج ابن الجوزي – تحقيق/ عبد الحميد الدرويش – دار المقتبس – لبنان – الطبعة الأولى – ٢٠١٤م.

٨. من روائع الوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد – أبو الفرج بن الجوزي – تحقيق: أشرف عبد المقصود عبد الرحيم – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ترجمة صاحب الوصية.

٩. مؤلفات ابن الجوزي – تأليف عبد الحميد العلوجي – منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق – ط١ – ١٩٩٢م.

١٠. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٨١م.

١١. وصايا الآباء في تربية الأبناء – محمود شاكر سعيد.

١٢. وصايا الأدباء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة فنية – روناك توفيق على النورسي – دار الكتب العلمية – ٢٠٠٧م.

الفهرس العام

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	عنوان البحث	١
٢	ملخص البحث باللغة العربية	٢
٣	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٢
٤	مقدمة	٣
٥	الدراسات السابقة	٥
٦	أهمية البحث وأسباب اختياره	٦
٧	منهج البحث	٦
٨	خطة البحث	٧
٩	تمهيد	٨
١٠	المبحث الأول: ابن الجوزي حياته وعصره ومؤلفاته	١١
١١	المطلب الأول: ابن الجوزي مولده وحياته.	١١
١٢	المطلب الثاني: وصايا الآباء للأبناء في القرن السادس الهجري.	١٧
١٣	المبحث الثاني: الدراسة الفنية والأدبية لوصية ابن الجوزي.	٢٢
١٤	الألفاظ	٢٢
١٥	السجع	٢٣
١٦	الاستشهاد بالأحاديث النبوية	٢٤
١٧	حسن الختام	٢٥
١٨	الخاتمة	٢٨
١٩	فهرس المراجع	٢٩
٢٠	الفهرس العام	٣٠

تم بحمد الله ـ تعالى ـ وعونه .

وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .